

تأملات الرسول بولس عن مبادئ الحصاد

مونولوج درامي

2 كورنثوس 9: 6-15

القس ستيف نيومان

24 تموز 2011

كانت لدي مشكلة صعبة تتعلق بمؤمن كورنثوس، أردت تحفيزهم على الوفاء بتعهدهم الذي قطعوه سابقاً، للمساعدة في تقديم مقدمة خاصة للمسيحيين اليهود الفقراء في يهوذا، الذين كانوا يعانون من المجاعة، بالإضافة إلى ذلك تعرض الكثير منهم للإضطهاد. تم طرد البعض من عائلاتهم أو تمت مقاطعة أعمالهم، لأنهم أطلقوا على يسوع اسم المسيح، ولكن بعض المعلمين الكذبة قد جاءوا إلى كورنثوس، لقد شوهاوا الإنجيل وتحذروا عني بالسوء، لقد تصرفوا بكبرياء وقوة وقد كانوا مليئين بالثقة بالنفس والحديث المتبجح، لقد تكلموا ضدي وقوضوا ثقة أهل كورنثوس بي، كيف سأحزهم على الوفاء بالتعهد الذي قطعوه دون أن أشعرهم بالإستياء؟ لم أكن أرغب في إلقاء الذنب عليهم، نعم يريد الله من شعبه أن يكونوا كرماء ومعطاءين لكن الله ليس فقيراً، إنه لا يتوسل إلينا لمساعدته في محنته اليائسة، وكما قال المرثل: له البهائم التي على الجبال الألف، يريدنا الله أن نتعلم العطاء لأنه يجب علينا أن نتعلم كيف نكون كرماء، إن الله يحب المعطي المسرور، وليس الذي يعطي لأن هناك من يضع سكيناً على حلقة.

لقد تعلمت أن جزءاً من المشكلة التي نواجهها جميعاً عندما يتعلق الأمر بالعطاء هو مشكلة وجهة النظر، إذا كان منظورنا يقتصر على العالم المادي والوقت الحاضر، فمن الطبيعي أن نفكر في الوقت الحالي وما أملكه لنفسي هو كل ما يهم، لماذا يريد المرء أن يتنازل عما يملكه لشخص آخر؟ مشاكله ليست مشاكلي، هل أنا حارس أخي؟ هذا طريقة طبيعية في التفكير لمن يقتصر منظوره على العالم المادي والزمن الحاضر، ولكن كيف تتغير نظرتنا عندما نفهم العالم الروحي ونكتسب منظور الأبدية، لقد أدركنا أن احتياجاتنا المادية الحقيقية صغيرة جداً، إذا كان لدينا طعام وملبس ومأوى، فهذا كل ما نحتاجه حقاً.

إن قناعتنا ورضانا عن الحياة وسعادتنا لا تنبع من حالتنا المادية، فهي تنبع من الداخل وكما كتبت إلى أهل فيلبس: فإني قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه، أعرف أن أتضع وأعرف أيضاً أن أستفضل، في كل شيء وفي جميع الأشياء قد تدرت أن أشبع وأن أجوع، وأن أستفضل وأن أنقص، أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني (فيلبي 4: 11-13) لقد تعلمت أن رضاي يأتي من علاقتي بيسوع المسيح، إنه يعطيني الفرح في الداخل ويمنحني السلام الذي يفوق الفهم، يملأني بحبه ونعمته ونتيجة لذلك، فأنا لست مستعبداً للحاجة إلى الإحتفاظ بكل ما أستطيع من ممتلكاتي المادية، أنا حر في العطاء لله وحر في العطاء للآخرين.

كان المسيحيون في كورنثوس من سكان المدينة، وكانت كورنثوس واحدة من أكبر المدن في ذلك الجزء من الإمبراطورية، ومع ذلك اعتقدت أن الناس يجب أن يفهموا بعض أساسيات الزراعة، لن تحصل على محصول كبير إذا لم تزرع الكثير من البذور، فكر في المزارع الذي لديه كيس مكيال مملوء بالقمح، وقد حان الوقت لزرع بذور القمح في الحقل، لكن هذا المزارع قرر أنه من الأفضل أن يخزن بذور القمح ويحتفظ بها لتلبية الإحتياجات المستقبلية، لذا فهو يرمي حفنة من البذور في الحقل، ما هو الحصاد الذي تعتقد أنه سيحصل عليه؟ ليس كثيراً! والآن فكر في المزارع الذي يزرع بذوره بحرية في الحقل، ويتأكد من الحصول على بعض منها في كل جزء وفي كل زاوية، سوف يجني هذا المزارع حصاداً كاملاً وفيراً.

حسناً، ينطبق نفس المبدأ روحياً على عطائنا، إذا زرنا بالشح في عطائنا، فسوف نحصد بالشح من بركاتنا، وإذا زرنا بسخاء بعطائنا، سنحصد بسخاء ببركات الله، هذه هي الطريقة التي تسير بها الحياة.

أردت أن يفهم مؤمنو كورنثوس أن كونهم معطاءين كرماء هو في مصلحتهم، عندما نعطي مواردنا لله فهذا ليس مثل التخلص منها بل إنه مثل استثمارهم، إنه مثل زرع البذور في الحقل والتي تنمو وتنتج أكثر مما بدأت، الآن لا تفهموني خطأً. أنا لا أعدك بأنك سوف تصبح بالضرورة ثرياً من الناحية المادية إذا أصبحت معطاءً سخياً، قد يجلب الله لك بركات مادية عظيمة لكن ليس هناك ضمان، لم يكن ربنا يسوع المسيح رجلاً غنياً أبداً، ولم يكن أي من رسله من الرجال

الأثرياء، لقد واجهت بعض الأوقات من نعمة مادية عظيمة، كانت هناك أوقات تمكنت فيها من الإقامة مع الأغنياء في منازل مريحة للغاية، وتناول بعض من أفضل الأطعمة، وشرب بعض من أفضل أنواع النبيذ المتاحة. لكن الأمر ليس بهذه الطريقة دائماً، كانت هناك أيضاً أوقات أخرى عديدة لم أتناول فيها ما يكفي من الطعام، أو عندما اضطرت إلى النوم على الطريق، لكن حتى في تلك الأوقات أشعر بحضور الله بشكل كبير، ولكن بما أنني سلمت نفسي وممتلكاتي للرب، فقد كنت دائماً مباركاً جداً لدرجة أنني أعتبر نفسي غنياً ومحظوظاً للغاية.

لذا مع وضع هذه الأمور في الاعتبار، هنا جزء مما كتبته إلى أهل كورنثوس: تذكروا أن من يزرع بالسخة فبالسخة أيضاً يحصد، ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد (2 كورنثوس 9: 6) أردتهم أن يتصوروا أن الحياة المليئة بالفتنة والغنى، والحياة ذات الحصاد الوفير هي حياة تتميز بالكرم، إذا زرنا بالسخة فلن نحصد كثيراً، ولكن إذا زرنا بسخاء نحصد حصاداً غنياً.

كل واحد كما ينوي بقلبه، ليس عن حزن أو عن اضطرار، لأن المعطي المسرور يحبه الله (2 كورنثوس 9: 7)، العطاء هو مسألة شخصية للغاية، ويجب على كل واحد أن يتخذ قراره بنفسه، تعلم هذا كان بمثابة تحول بالنسبة لي، كل التقدمات المطلوبة تم توضيحها عندما كنت أعيش تحت شريعة موسى، ما لم يوضحه الكتاب المقدس بالضبط فعله تقليد الرابينين، كنت أعرف بالضبط ما كان علي أن أفعله ولم يكن علي أن أفعل أكثر مما هو مطلوب، ولكن في ظل يسوع المسيح جعل الله الأمور مختلفة، نحن لسنا تحت ناموس الإلزام، يجب على كل واحد منا أن نقرر في قلوبنا، ما نريد أن نفعله بناءً على ما لدينا، وعلى ما نعرفه عن كيفية عمل الله وعلى مقدار إيماننا.

بموجب شريعة موسى قدم كثيرون عشورهم وتقدماتهم على مضض، لقد شعرنا في كثير من الأحيان بشعور الإكراه، كنا نعلم أنه يتعين علينا القيام بذلك وإلا، التهديد بخرق القانون وعواقبه كان مفروضاً دائماً علينا، ولكن الآن يغمرنا الله بنعمته ثم يطلب منا أن نصبح معطين أسخياء، لا يريدك الله أن تعطي قسراً أو على مضض، لا يريدك الله أن تعطي حتى تبدو بمظهر جيد أمام قريبك، إن الله يحب المعطي المسرور، يفرح الله نفسه بالعطاء ويحب أن يعيد إنتاج هذه الصفة فينا، حتى نفرح نحن أيضاً بالعطاء.

والله قادر أن يزيدكم كل نعمة، لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء، تزدادون في كل عمل صالح (2 كو 9: 8) يعتقد البعض أنني تماديت قليلاً في هذه العدد، أعتزف أنني كنت جريئاً بعض الشيء في قولي: كل شيء... في كل حين... كل ما تحتاجه... كل عمل صالح، لكن يمكنك فهم وجهة نظري، أليس كذلك؟ الله يعتني بنا، إنه قادر على الإعتناء بنا وتمكيننا من الحصول على ما يكفي لنكون معطين أيضاً.

أعلم أن الناس يحجمون عن العطاء بسبب الخوف، إذا تخليت عن جزء مما أملك فسوف ينفذ، لن يكون لدي ما يكفي لتلبية احتياجاتي، هذا هو التفكير في الحياة دون أن تأخذ الله في تفكيرك، أردت منهم أن يفهموا ويصدقوا ما أؤمن به واختبرته بصدق، وهو أن الله سوف يعتني بك إذا وثقت به، لقد أخبرنا يسوع المسيح نفسه أن نطلب ملكوت الله وبره أولاً، وثق في أن الله يستطيع أن يعتني باحتياجاتنا الجسدية. كما أردت أيضاً أن تتحرر أنت ومؤمنو كورنثوس من الخوف وأن تستبدل الخوف بالثقة، نحن لا نعرف ما يخبئه المستقبل قاب قوسين أو أدنى، قد تكون هناك بعض المشاكل الكبيرة التي تتطلب موارد وفيرة منا، الأموال التي نتبرع بها اليوم قد تكون مطلوبة غداً أو الشهر المقبل، لكن هذه ليست كل القصة فعلينا أن نضع الله في المعادلة، نحن أحرار في أن نصبح معطين عندما نفهم أن الله سوف يعتني بنا، وهذه هي النقطة التي كنت أحاول إيصالها.

كما هو مكتوب: فرق. أعطى المساكين. بره يبقى إلى الأبد (2 كورنثوس 9: 9). هل تعرف اقتباسي؟ كنت أقتبس من المزمور 112، ربما لم تكن على دراية بالمزمور، قد تبدو الآية التي اقتبسناها وكأنها تشير إلى الله لأن نفس العبارة، بره يبقى إلى الأبد تُستخدم للإشارة إلى الله في المزمور 111، الذي يتحدث عن رعاية الله لمن يثقون به ويعطيهم الطعام ويسدد احتياجاتهم، لكن في المزمور 112 تشير هذه الكلمات إلى الشخص التقى الذي يعكس شخصية الله، وهذا المزمور هو تعليم حكمة كما نجد في سفر الأمثال، ولا يذكر الحقيقة المطلقة التي ليس لها استثناءات، بل إنه يوضح المثل الأعلى الذي يعتبر صحيحاً بشكل عام، من المحتمل أنك لا تقرأ العبرية، ولكن إذا فعلت ذلك فسترى أن هذا المزمور مكتوب

بطريقة أبجدية، بمعنى آخر يبدأ كل سطر بحرف مختلف من الأبجدية العبرية، بدءاً من الألف ثم البيت وهكذا، وهنا المزمور:

هللوا
 طوبى للرجل المتقي الرب
 المسرور جداً بوصاياه.
 نسله يكون قوياً في الأرض.
 جيل المستقيمين يبارك.
 رغد وغنى في بيته
 وبره قائم إلى الأبد.
 نور أشرق في الظلمة للمستقيمين.
 هو حنان ورحيم وصديق.
 سعيد هو الرجل
 الذي يترأف ويقرض.
 يدبر أموره بالحق.
 لأنه لا يتزعزع إلى الدهر.
 الصديق يكون لذكر أبدي.
 لا يخشى من خبير سوء.
 قلبه ثابت متكلاً على الرب.
 قلبه ممكن فلا يخاف
 حتى يرى بمضايقيه.
 فرق أعطى المساكين.
 بره قائم إلى الأبد.
 قرنه ينتصب بالمجد.
 الشرير يرى فيغضب.
 يحرق أسنانه ويذوب.
 شهوة الشرير تبيد.

أمل أن يكون هدف المزمور واضحاً لك، الرجل الصالح الذي يتقي الله هو كريم ومبارك لكرمه، أما الرجل الذي يرفض الله، والذي يُدعى بالشرير في هذا المزمور، فهو ليس كريماً ولا ينتهي به الأمر إلى حياة البركة. بالعودة إلى رسالة كورنثوس الثانية فإن أحد أسباب اختياري للآية 9 هو كلمة فرَّق، تذكر أنني تحدثت للتو عن البذر بسخاء؟ يمكن استخدام كلمة يفرِّق للبذر والمزارع ينثر بذوره، والرجل الكريم يفرق ثروته لمساعدة الآخرين، لذا فإن الآية التي اقتبستها من المزمور 112 تبدو مناسبة جداً، وبناء على ذلك واصلت في رسالتي الثانية إلى أهل كورنثوس استخدام الكلمات باستخدام هذه الصورة الزراعية: والذي يقدم بذاراً للزراع وخبزاً للأكل، سيقدم ويكثر بذاركم وينمي غلات بركم، مستغنين في كل شيء لكل سخاء ينشئ بنا شكراً لله (2 كورنثوس 9: 10-11). في السطور التالية التي كتبتها، أردت أن يرى أهل كورنثوس أن تقديم هذه العطية كان أكثر بكثير من مجرد تقديم بعض المال، لقد كان يخلق دائرة من البركة حتى يعطوا العطايا، وسيتبارك المسيحيون الفقراء في اليهودية من خلال توفير احتياجاتهم المادية، وهم بدورهم يفيضون بعبارات الشكر لله، ثم يصلون من أجل أن يستمر الله في مباركة مؤمني كورنثوس، سيتم تشكيل رابطة الوحدة بينهما وسيتم إنشاء دائرة من البركة.

ثم تابعت هكذا: لأن افتعال هذه الخدمة ليس يسد إعواز القديسين فقط، بل يزيد بشكر كثير لله، إذ هم باختبار هذه الخدمة، يمجدون الله على طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح، وسخاء التوزيع لهم وللجميع، وبدعاتهم لأجلكم مشتاقين إليكم من أجل نعمة الله الفائقة لديكم (2 كورنثوس 9: 12-14).

في الآية 13 كتبت هذه العبارة: طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح، لأن الكرم ليس شيئاً ينبغي أن يكون في الحقيقة استثنائياً، نحن المسيحيين ندعي أن يسوع المسيح هو ربنا، وقد كان يسوع المسيح نفسه قدوة لنا في العطاء، العطاء من أفضل نوع، ربما تتذكرون أنني كتبت في الإصحاح 8: 9: فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم افتقر وهو غني، لكي تستغنوا أنتم بفقره. لا يمكننا أن نكون أتباعاً لمن أعطى بهذه الطريقة دون أن نصبح نحن أيضاً معطين، لذا يمكنك أن ترى أن صيرورتنا معطائين هي ببساطة طاعتنا لمضمون الإنجيل.

لقد أنهيت هذا القسم من الرسالة - ما تقرأونه في الإصحاحين 8 و 9 - بعبارة تسبيح خرجت مني للتو، فشكرا لله على عطيته التي لا يعبر عنها (2 كورنثوس 9: 15)، وراء كل عطائنا نجد عطاء الله الذي أعطانا الكثير في المسيح، هل يمكنك أن تتخيل التخلي عن ابنك في الموت لإنقاذ بعض الأشخاص غير المستحقين؟ وهذا ما فعله الله الذي بذل ابنه الوحيد، هذه عطية لا يعبر عنها، لقد اختارنا في المسيح وغفر لنا في المسيح، لقد افتدانا في المسيح وتبنانا في عائلته في المسيح، لقد أعطانا حياة جديدة في المسيح، وجعلنا وارثين مع المسيح في البركات الأبدية، لقد أعطانا رجاء ومستقبلاً في المسيح، لقد أقامنا مع المسيح إلى الحياة الجديدة وأجلسنا مع المسيح في وضع لا يصدق عن يمين الله الأب، لقد أعطانا نظرة ثاقبة في حكمة الأجيال حتى تتمكن من معرفة ما هي الحياة وإلى أين نذهب، لأننا نستطيع أن نعرف أن كل شيء قد تم بواسطة الله الأب، حتى يكون للمسيح السيادة في كل شيء، وأن كل الأشياء في الكون كله تجد معناها وتبلغ ذروتها فيه في نهاية كل العصور كما نعرفها، ندرك ذلك في حين أن الكثير من الآخرين يتجولون في صنع معنى للحياة، أو يعيشون على أساس الأساطير والقصص الخيالية، هذه هي العطية التي لا يعبر عنها لدينا.

هل ترى ما كنت أحاول إيصاله إلى أهل كورنثوس؟ لقد كانت حالتهم خاصة لكن هذه الحقائق عالمية، تنطبق على الكنائس الأخرى فإنها تنطبق عليك وعلى أهل كورنثوس أيضاً، أردتهم أن يروا أن الله يدعونا إلى استجابة طوعية في عطائنا، والتي يمكن أن نفرح بها، ولكنه يريدنا أيضاً أن نرى ما هو أبعد من الحاضر، وأبعد من احتياجات ومتع اليوم، يريدنا الله أن نرى أن شخصيته هي في أن يباركنا، وإذا كنا نثق به ونعطي أنفسنا له في الخدمة بإيمان وكرم، فإن الله سوف يباركنا بشكل أكثر وفرة. إذا زرنا بالشح سنحصد بالشح وإذا زرنا بالبركات سنحصد بوفرة، لكننا بحاجة إلى الإختيار إذ نأمل أن نتمكن جميعاً من اتخاذ خيارات في عطائنا، بناءً على الصورة الكبيرة للأبدية وما هو مهم في النهاية، الله لا يريدنا أن نشعر بالضغط والضغط، إنه يريدنا أن نرى أن عطائنا مفيد للآخرين وصالح لمجد الله وصالح لنا أيضاً، إن الله يحب المعطي المسرور.